فائز الصايغ يقول اليوم بما قالت الصحافة السورية عكسه في الأمس وهو الأنموذج الأكثر تعبيراً عن حال النظام السوري

# هـكـذا نـظـر الحريـري الى الأسـد عشـيـة اغـتـيـالـه

فارس خشّان

يكاد يكون فائز الصايغ الذي يشغل منصباً حكومياً رفيعاً اسمه رئيس تحرير صحيفة «الثورة» الأنموذج الأكثر تعبيراً عن حقيقة النظام السوري الذي يديره، منذ العام ٢٠٠٠، الرئيس بشار الأسد.

فالصايغ الذي لا يرى في معارضي ما اقترفه نظام بلاده من خطايا بحق لبنان سوى حفنة من المرتزقة، يدّعي أنه كان أول من ذكر بأن الرئيس الشهيد رفيق الحريري كان عربياً قومياً وأنه لم يكن يقبل أن يصافح إسرائيلياً، وأنه حين أصرّ على أن تكون وسائل إعلامه واسعة الانتشار إنما فعل ذلك بهدف مواجهة العدو الصهيوني.

ولكن الصايغ الذي «حبس» هذه الاقتناعات في وجدانه الى تلك اللحظة التي استشهد فيها الحريري، قفز فوق مجموعة حقائق تؤكد أن نظام بلاده عبّر عن كره غير مسبوق للرئيس الحريري، عشية استشهاده، مستعملاً منبر «الثورة» وشقيقتها «تشرين».

## بين الأمس واليوم

ففي «تشرين» أُعطي حميدي عبدالله أحد أنسباء المشتبه به ناصر قنديل، منبراً أسبوعياً من أجل النيل من الرئيس الحريري، بمقالات ظاهرها اقتصادي وعمقها سياسي وخلاصتُها أن الحريري «الفاسد» تعمّد ضرب اقتصاد لبنان من أجل أن يُرهن وطنه للغرب، معتبراً أن مؤتمر «باريس ـ ٢» كان المدخل الطبيعي الى القرار ١٥٥٩.

مقالات حميدي عبدالله التي بدأت «تشرين» نشرها في تشرين الثاني ٢٠٠٤ وتوقفت عن ذلك في ٧ شباط ٢٠٠٥ أي قبل أسبوع واحد على زلزال «سان جورج»، لم تكن في حقيقتها، بفعل غياب أي عنصر جدي فيها، سوى محاولة لإقناع السوريين بأن الحريري يستحق الموت، ولمواكبة عملاء سوريا في لبنان الذين كانوا يروّجون لخطة تهشيم الحريري لإقناع اللبنانيين أيضاً أن الحريري يستحق الموت.

أما «الثورة» فكانت تتولى التسويق للتمديد، بإجراء مقابلة «عاجلة جداً» مع الرئيس اميل لحود متبنّية كلامه ان الاعلام اللبناني مملوك «بالرشوة» ولا يعكس حقيقة الرأي العام. يومها قال الرئيس بشار الأسد للحود انه لن يقرأ صحف لبنان، ودفع بالصائغ لتسويق لحود في وجه رفض الحريري للتمديد.

ومن ثم بعد اغتيال الرئيس الحريري، لم يجد الصائغ الذي يدّعي انه صمت ٨ أشهر سوى «المستقبل» ليشنّ هجوماً عليها كمثال للإعلام اللبناني «المتصهين»، الأمر الذي ترجم نفسه لاحقاً ببدء استهداف صحافيي لبنان، من خلال أحد روّاد الحرية في لبنان الشهيد سمير قصير.

وبمقارنة سريعة بين أدبيات الصايغ الحالية، بغض النظر عن معادلاته الجنائية الفاشلة التي ترتكز إليها مرافعاته الدفاعية عن نظام لا يملك أدلة سوى الطعن بالمتوافر من الأدلة التي تبرر توجيه الشبهة إليه في ملف استشهاد الرئيس الحريري، وبين أدبيات الصحف السورية التي يرأس تحرير احداها، يتضح البون الشاسع بين مَنْ يُروّج لخيانة زعيم عربي وبين مَنْ يمتدح زعيماً من خلال التبرع بإعطائه الهوية العربية.

## الأسد واختلاف الأدبيات

وحال الصايغ لا تختلف أبداً عن حال النظام الذي يعمل موظفاً رسمياً فيه بصفة صحافي، فالرئيس بشار الأسد، ومنذ تمّ تشكيل لجنة تحقيق دولية، يُسبغ على الرئيس الشهيد رفيق الحريري كل الصفات التي كان يقول عكسها حين كان الحريري على قيد الحياة.

وفق أدبيات الأسد الحالية، فالحريري كان صديقاً لسوريا وصوتاً يعمل لمصلحتها في العالم واستشهاده حذف من المعادلة رجلاً كان يخدم سوريا، وأن الحريري لم تكن لديه مشاكل مع سوريا، وأن بلاده تتعرض لمؤامرة غربية بسبب مواقفها القومية الواضحة في مواجهة العدو الإسرائيلي.

ولكن مَنْ كان يحظى بفرصة الاجتماع بالأسد، كحاكم أوحد للبنان، يُدرك جيداً أن هذه الأدبيات لم تكن متوافرة في مجالسه الرسمية والخاصة، وكانت تُترجم نفسها بلغة بذيئة في عنجر حيث كان يقيم العميد رستم غزالة. فالأسد كان يتهم الرئيس الحريري بالطائفية (وترجمتها في عنجر بالوهّابية)، وكان يقول أنه يعمل لمصلحة الفرنسيين (وترجمتها في عنجر بعميل امبريالي ـ صهيوني) وكان يتأسف لأن الحريري يريد أن يكون شريكاً في القرار الوطني (وترجمتها في عنجر بأن رأس الحريري قد كبر ولا بد من تحطيمه) وكان يعتبر أن شعبية الرئيس الحريري مصطنعة (وترجمتها في عنجر بأننا سوف نريه حجمه الحقيقي، وهو أصغر من حجم عصفور) وكان يرى أن الرئيس الحريري له تحالفات غير مفهومة (وترجمتها في عنجر بأن لدى الحريري مشروعاً صهيونياً مشبوهاً) وكان يؤكد ان الرئيس الحريري هو من صنع القرار ١٥٥٩ (وترجمتها في عنجر بأن الحريري «دفع» لشيراك حتى يسير بالقرار ١٥٥٩ وأغراه بالبترول الموجود في البحر ليعوّض فيه عن آبار البترول التي خسرتها فرنسا في العراق ـ رواية عاد وكررها بتلذذ الرئيس إميل لحود).

وهذه الأدبيات الأسدية السابقة لجريمة الاغتيال، كانت تصل الى الرئيس الحريري، لأنها كانت تُقال أساساً لتصل إليه. وهو عاد وسمع بعضاً منها مباشرة من فم الأسد، سواء في تلك الجلسة الشهيرة التي سبقت تمديد ولاية لحود أم في الجلسة التي سبقتها حيث ضمّ الأسد الى لقائه والحريري أركان الأجهزة الأمنية السورية الحاكمة في لبنان.

## الحريري ونظرته الى الأسد

وقبيل اغتياله، وأثناء جلساته الخاصة مع مَنْ يسميهم فائز الصايغ «مرتزقة»، قال الحريري صراحة ما يُفكر فيه: «مشكلتنا ليست مع إميل لحود. أنظروا كيف «عضّ» حين أتته الأوامر لمصلحة عمر كرامي. ومشكلتنا ليست مع رستم غزالة الذي كما رددت القيادة السورية هو يمثّل ما نريده في لبنان وينفّذه حرفياً. مشكلتنا هي في حقيقة الأمر مع بشار الأسد بالذات».

وكترجمة لاقتناع الحريري بمكمن المشكلة اللبنانية، قرّر عدم السير بخطة وضعتها سوريا آنذاك لمقايضة القرار ١٥٥٩ برأس إميل لحود، انطلاقاً من معادلة ارتسمت بذهن الرئيس الشهيد: «لن نكون أداة بيد بشار الأسد. ساعة يأمر بالتمديد وساعة يأمر بإطاحة الممدّد له. يريد تغيير لحود الآن ليفرض علينا، لست سنوات، من يمكن أن يكون أسوأ من لحود. ما يهمنا تغيير النهج، وليس تغيير الأقنعة».

وفي ظل هذه الاقتناعات الراسخة، حضّر الرئيس الحريري اجتماعه في كانون الثاني مع «البذيء» رستم غزالة. لم يستقبله كمسؤول عن المخابرات السورية في لبنان بل كممثل شخصي للرئيس بشار الأسد. مسألة واحدة تمحورت حولها كلمات الرئيس الحريري للممثل الشخصي للرئيس السوري: «إذا كنتم تتعاملون معي كصديق لسوريا فلا حاجة لكم بأن تتدخلوا بالأسماء التي سوف أرشحها على لوائحي، لأن كل مالي، والحالة كذلك، هو لكم، أما إذا كنتم تنظرون إليّ كخصم، فلا يمكنكم، والحالة هذه، أن تطلبوا المساعدة السياسية من خصمكم».

## الخطة تنفيذ المخطط

يومها قررت دمشق توقيف كل المساعي التي كان يقوم بها البعض وأبلغت من يعنيهم الأمر أنها لن تتفاهم مع الحريري الذي يريد أن يفرض على سوريا حقه بمشاركتها في القرار وحسمت: «هذا لن يحصل أبداً».

كل هذه التطورات حصلت بين ٨ و١٢ كانون الثاني ٢٠٠٥. في ١٤ كانون الثاني ٢٠٠٥ ـ وهذا ليس تحليلاً سياسياً لمن بيدي غراماً بالوقائع ـ تحرّكت الخطوط الخلوية التي أمّنها مع أجهزتها رائد فخر الدين الذي تربطه صلة مباشرة وغير مباشرة برستم غزالة، في مطاردة موكب الرئيس الشهيد. هذه الخطوط التي قالت مديرية المخابرات في الجيش، حين كانت بأمرة العميد الموقوف ريمون عازار، إنها بعهدة أصوليين إسلاميين هم رفاق أحمد أبو عدس، ليتضح بعد التحقيق، وفي ضوء التغييرات على مستوى قادة الأجهزة الأمنية، أن كل الخطوط تعود ملكيتها لأصوليين سوريين هم رفاق رستم غزالة.

## سوريا قوية و«المرتزقة» كذلك

على أي حال، فإنه من الواضح أن سوريا التي لا يشك أحد بقوتها المستمرة في لبنان ـ والدليل توجيه أصابع الشبهة إليها بمسلسل الاغتيالات الذي استراح عند محطة الزميلة الناجية مَيّ شدياق ـ ترتكب الخطأ ثم تشكو من يتهمها باقترافه.

فائز الصايغ هو الأنموذج لذلك الأسلوب الذي يشتهر به الرئيس الأسد شخصياً.

الأول، قادت صحيفته وشقيقاتها حملة التخوين ضد الرئيس الحريري وحالياً يشكو غياب عروبة الحريري ومدى تأثير ذلك سلبياً على سوريا.

الثاني، قاد بنفسه تكوين المبررات الدولية لكوكبة الجهود ضد بلاده. كانت واشنطن ضده فجرّ بالقوة، باريس الى صفها. أدرك أن التمديد ممنوعٌ في لبنان، فتحدى الإرادة الدولية، وأنجز التمديد بهدف عدم السماح بمس هيبة سوريا القائمة على الفرض. تيقن أن اغتيال الحريري ممنوعٌ في لبنان، فراح يُغذي حملة شعواء ضد الحريري متهماً إياه بالتآمر، بحيث يرفع الغطاء لمن يريد تصفية الحريري، وها هو يشكو حالياً من نتائج ما صنعته يداه.

وبالمحصلة، أن سوريا تقطف اليوم ما زرعه نظامها بالذات. المجتمع الدولي يدرك ذلك... ومن يرتاح فائز الصايغ الى وصفهم «بالمرتزقة» ولسوء حظه، يعرفون الشاردة والواردة، وأبواب الجحيم لن تقوى على ذاكرتهم.